خاطرة

الحلم والمتراس

بقلم: نادر وليد

ـ الى الذين يخلعون على انفسهم اثواب المتاريس ، الرابضين على ضفة الشارع القديم ـ

... ذاك اليل لم استطع النوم ، حاولت كثيرا ، ولكن ... ، طويلا كان العراك مع الوسادة، تارة الرأس يغلب ، وتارة الوسادة . لم استطع حتى مجرد الاغماض ، فكان طيفك يحول بين الجفن والآخر .

تكررت الجولات ، وطال العراك ، واخيرا اعلن الحكم النتيجة ، وزحت في نوم عميق ، فاختفت الحدقات تماما . لم يدر الحكم انه كان واهيا ، وان الفوز المعلن كان كاذبا ، وسرعان ما كان ذلك ـ دون علم من الحكم ـ فبأسرع من تتابع البرق والرعد في تلك الليلة ، واسرع من طلقة قناص تصرع الشيخ الراكض عند الخط الفاصل ، بأسرع من كل تصور ، جاء طيفك والحلم .

★ ★ ★

أكثر من مرة كنت تأتين وتذهبين لتعودي ، دون ادنى مقاومة ، استسلمت لاني اعلم أن من الغباء المقاومة ، وانا احاول كل شروق وغياب شمس ، اذكر لون عينيك ، لون شعرك ، رغم اني لم انس . وتوالت الذكريات تملأ المتراس الرملي الساهر ، رغم الليالي الثيام . حين اتى ذلك المقص وقطع موسم الحلم ، رفعت رأسي ثقيلا ، ونفضت عنه الحلم ، ورفعت الوسادة ـ البندقية ـ وأخذت مكاني .

★ ★ ★

حين تأتيك حبيبة ، متسللة عبر جدار الليل والجفون ...

ابشر فالموت ابعد بكثير من مرمى المدفعية ... حين اضغط على زند الرشاش ، ابصر شالك الاحمر متأرجحا في الظلام ، يلف عنقي ، يحميه من البرد، يلف اعناقهم ، يمنع عنهم التنفس .

ياتلك الحبيبة ، عندما اسمع رشاشا من لبنان يهتف باسمك ، عندما ينادي احد ثوارك ويسقط دفاعا عن عروبة لبنان ، عندما تتحطم سلاسل المؤامرة الواحدة تلو الاخرى ، اشعر بأني اصبحت لا اهاب الموت ، بل ارقب الشهادة .

تشرين اول ٧٨

سينما

مارون بغدادي في فيلمه :

"الشهداء"

الموت في سبيل الانسان والحياة

لا ليس سعريا ، ولا تفجعا على حياة انقرضت في صباها الشامخ ... لا ليس تحريكا لمشاعرنا ، باستحضار الموت « الجنازة » ولا وقفة على صور الشهداء ، وشحذا للذاكرة ، تنتهي ساعة انتهاء المشهد . لا ليس تعاملا مع الذاكرة في لحظة ما ، او وقفة على حدث مضى ، نندهش فيه ساعة رؤيتنا له وتعاملنا معه .

لا ليس تمجيدا للموت وعزلا للحياة ، تهدف الى تبسيط الشهادة وافراغ الحياة من مضامينها اثناء الموت في سبيل الوطن والقضية .

ان مارون بغدادي في فيلمه « الشهيد » يؤكد على ان فعل الشهادة يظل عالقا في حركات الاحياء . اي ان بغدادي يحاول ان يسيس الشهادة ويعطيها بعدها الانساني والنضالي ، عن طريق استحضار الشهيد بيننا ، لكن دون ان ينزلق في الرثائية الرخيصة والخطابية الفجة .

الفيلم تسجيلي لكنه لا يقول الحدث مباشرة ، ان الزمن يجيء من جميع الارجاء ليشكل لحظته . يجيء من الشمال ، والجنوب ، والبقاع ، والجبل. يجيء من دمعة ام فخورة ، ومن حدقة اب فلاح عظيم ومن حزن اخت مناضلة ، ومن بندقية رفيق في المعركة ، ليرسم من خلال هذه اللقطات جميعها صورة الشهيد وعلاقته بالاخرين وكذلك علاقة الاخرين به .

انه يأتي من منازل الفقراء ، ومن ذاكرة الصبايا ، ومن الثوارع والاخشاب والخبز . يحبه الجميع ويتذكرونه ، مشعا بالعطاء والدفء . فالكل يحسه موجودا فيه برغم غيابه . انه ميت لكن الهدف الذي استشهد لاجله ما زال موجودا . ولعل هذا الهدف هو الانسان الذي يظهره بغدادي من خلال هذه العلاقات التي ذكرت ، فيكسب الفيلم مفهوما ثوريا ناضجا .

من هنا نجح بغدادي في تقديم التفاصيل الدقيقة للشهيد في الحرب اللبنانية دون ان تعرضه هذه التفاصيل الى الانحراف والمبالغة بل جاء الفيلم ليحكي ضرورة العنف الثوري في تلك المرحلة من مراحل النضال وليؤكد من خلال ذلك ضرورة الحياة المشعة بالكرامة والعمل والبناء .

ان الشهيد يحب الحياة ويتمنى ان يبقى في هذا الوجود . فالحياة هدفه السامي والاعلى . لكن علينا ان نناضل لاجل هذه الحياة دون خوف او انهزام .

فتصير الشهادة بهذا المعنى تشبثا متينا بالعيش والاستمرار الحياتيين .

ويتجلى هذا الذي ذكرت في اخر لقطة من الفيلم . صور الشهداء تتكرر مع اغنية « مارسيل خليفة » للشاعر حسن العبدا الله : « اجمل الامهات التي انتظرت » .

اضافة الى طلقات الرصاص الذي ينهي بغدادي فيلمه على نغمها ، ليؤكد استمرار النضال من اجل الانسان ويكشف علاقتنا بالرفاق الذين غابوا .

ويبقى ان نقول ان بغدادي استطاع ان يحقق نجاحا في الشكل والمضمون بنفس المستوى .

بطاقة

انت ترقدين في عيني
وغطاؤك اجفاني
تدقين الابواب
افتح لك عيني
فلماذا لا اراك ؟ .

عطا مراد كرم

« موت المهوض » ـ ١٩٢٨

بتروف فودكن

يمتاز في رسومه بالدقة ونظافة اللون من أجل صفاء الرؤية

« الكمان » ـ ١٩١٨

بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الفنان الروسي الكبير « كوزما بتروف فودكن » اقام المركز الثقافي السوفياتي معرضا لرسوم هذا الفنان .

ولد « بتروف فودكن » في عام ١٨٧٨ من اب « كندرجي » بسيط في احد مدن شواطىء الفولغا العليا . تأثر منذ صغره بأقاربه اكثر من تأثره بوالديه . وكان لهذا اثرا في انتاجه وتكوين شخصيته . مما جعل منه فنانا متعدد المواهب . ليس في فن الرسم فحسب بل في التأليف المسرحي والقصصي والروائي ايضا . اضافة الى هذا كله كان يعزف على الكمان . ومن اشهر مسرحياته « الضحايا » التي اخرجت في اذار عام ١٩٠٦ .

كان يعتبر « فودكن » ان الثورة المستقبلية قوة طبيعية لا ترتبط بارادة ومعرفة الناس ، وليس عبثا ان تحتوي مسرحيته « الضحايا » رمزا لهذا المعنى . تأثر في صغره بأحد رسامي « الايكونات » الدينية وامتاز بنظافة اللون ، والدقة في الرسم اما في التأليف فقد امتاز في الرقة التي يضفيها على اوضاع الاشخاص . سمع الكثير من القصص ، والحكايا عن الفنانين المشهورين مما اثر هذا على اسلوبه وشخصيته الفنية . وعندما دخل المدرسة في الحادية عشر من عمره نظر الاساتذة برسم غريب كان يرسمه على دفتره . في الرابعة عشرة دخل اكاديمية الفنون . وعمل في احد السفن ، وتركها هاربا من الظلم ، والقتل الجماعي . تعرف بعد هذا على مهندس قدم من بطرسبورغ في عطلة صيفية ، وهو بدوره اي المهندس عرفه على سيدة تشجع الفنون والفنانين . فقدمت له خلال سبع سنوات المساعدات الكثيرة حتى المالية منها . ثم سافر الى بطرسبورغ ودخل مدرسة « البارم تشكنلز » لتكنولوجيا الرسم وكان ذلك في خريف ١٨٩٥ . وفي هذه المدرسة درس الرسم الدقيق والتخطيط الهندسي ومختلف اشكال الفن الزخرفي وتطبيقه . في صيف ١٨٩٨ عاد ، الى موسكو ، ودخل الكلية التحضيرية لفنون الرسم والنحت درس فيها سبع سنوات وقد كتب في هذه الاثناء عشرين قصة ، وثلاث قصص شعرية كبيرة و١٢ مسرحية مثل بعضها على المسرح . وبرز بين اعماله تأثره بالفنان الكبير ! « فالنين سيروف » بينما لم يظهر في فنه اي تأثر لاي من اساتذته .

سافر الى ميونيخ ودخل مدرسة الفنون الشهيرة « H. B » وكانت ميونيخ في تلك الفترة منبت الفنون كما يقول « بيتهوفن » . اضافة الى ذلك كانت ـ اي ميونيخ ـ الخندق الذي استوقف تأثير الفن المتسرب الى اوروبا الشرقية .

ودرس في « ميونيخ » اعمال العديد من الفنانين الروس المشهورين امثال كردونسكي « يؤدف » .

وقد كانت مدرسة « H. B » بالنسبة لهؤلاء مفيدة لكنها بالنسبة اليه كانت عكس ذلك . فهو لم يفهم ، او لم يعمل على الاقل باسلوب هذه المدرسة . بل درس اسلوب فنانين معروفين امثال « بكلف شتوك » و « ليمباخ » و « هوسماري » وقد كان تأثيرهم عليه كبير لدرجة انه حاول ان يقلد اعمال كل منهم قصد التعمق بمضامين فنه واسلوبه ، لكنه لفترة غير طويلة وبعد عودته من « ميونيخ » بقي متأثرا بالرمزية الالمانية ، في كثير من اللوحات ، والرسوم والمائيات .

في عام ١٩٠٥ حصل على شهادة من الكلية التحضيرية في موسكو ، واصبح في وضع يجعله اكثر مسؤولية تجاه نفسه واعماله في عام ١٩٠٦ اخرجت مسرحيته « الضحايا » ذكرنا سابقا ، وقد وجد فيها النقاد والمخرجون المزاج المميز لقسم من المثقفين الروس قبل اول ثورة . والتي قال عنها ، المخرجون انها اول عمل فني مسرحي يسبق اعمال « فودكن » التشكيلية ، الضخمة في الرسم اذ انها تعبر عن شخصية فريدة تجمع كثيرا من غنى الثقافة العالمية ، وتحدد مكانها ، في تطور الانسانية الى الامام . ودورها في النضال من اجل حق الانسان في ان يكون عظيما .

اما في اعماله ، التصويرية ، فانه يعكس الحالة النفسية للمجتمع المتفكك ، في تلك المرحلة وما تبعه من حالات انتحار ، وجنون مسكر . الى جانب ذلك تنمو عند الفنان اكثر مشاعر واحاسيس الاحداث التاريخية . التي كان يجب ان تغير وتجدد حياة الناس ولقد لعبت ثورة ١٩٠٥ ، دورا مهما في تغيير مفاهيمه بالنسبة للثورة اذ انها وجدت عنده احلام الحرية ونفثت فيه روح الابداع النضالي .

ـ اسلوب « فودكن » الفني .

لقد كان لتأثير الفن الروسي القديم اي « الايقونات » مكانا بارزا في تفكير والوان وخطوط « فودكن » اذ انه كان يدعو باللون والخط والشكل . للعودة الى التراث الروسي الاصيل .

وقد اكسبته هذه الدعوة الى التراث الكثير من الخصوم . والكثير من المعجبين والاتباع ، كان ملونا رقيقا شفافا . وقد امتازت الوانه الزيتية ، بالشفافية لدرجة انها صارت شبيه الالوان المائية ، وفي لوحة « فتيات على شاطىء « الفولغا » تظهر هذه الشفافية ، بكل معانيها .

واستعمل بكثرة الالوان الصافية دون ان يعتمد في ذلك على المزج . فكان اللون الازرق في السماء . ازرق في اللوحة ، مع قليل من الابيض .

واللون الاحمر ، في الثوب احمرا صافيا .

وهو بذلك يشبه الى حد كبير « الايقونات » الروسية ، وبعض عمالقة الفن الايطالي امثال « جوتو » . وكان همه في اللون البحث عن الصفاء .

اما خطوطه ، فكانت مزيجا من الحدة والدقة . تأخذ لها بعدا انسانيا عميق الشأن وفي النهاية ، نستطيع القول ان « فودكن » حاول وبكثير من الجهد ان يصور واقع حال تلك المرحلة من التاريخ الروسي ، واعتمد بذلك على الواقعية التي اصاب منها شيئا غير قليل الشأن . مما اكسبه ان يكون في عداد المشاهير من الفنانين الكبار .

حسين نصرالله